



التفسير في عصر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

وكان من الطبيعي ان يقوم الرسول الاعظم بدور الرائد في التفسير، فكان هو المفسر الاول يشرح النص القرآني، ويكشف عن اهدافه، ويقرب الناس الى مستواه كلاً حسب قابلياته، واستعداده الخاص، ويحل للمسلمين ما تعترضهم من مشاكل في تفهم النص الكريم، وتحديد معطياته وما يلتبس عليهم من احكام ومفاهيم، لأن النبي بوصفه صاحب الرسالة، ومهبط الوحي كان قد اعد اعداداً الهياً لهذه المهمة كغيرها من مهام الدعوة، والرسالة، وتكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان { **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** } ولا يختلف المسلمون في الدور الرائد الذي قام به النبي الاعظم بوصفه المفسر الاول للقرآن الى جانب دوره الرائد في مجال التطبيق لمفاهيم القرآن ونظرتيه العامة الى الكون والحياة.

ولكن السؤال الذي يطرح بهذا الصدد عادة هو السؤال عن حدود التفسير الذي مارسه الرسول الاعظم، ومداه فهل شمل القرآن كله بأن كان يفسر الآيات تفسيراً شاملاً، أو اقتصر على جزء منه أو كان يتناول الآيات التي يستشكل الصحابة في فهمها ويسألون عن معناها فحسب.

وقبل ذكر ذلك أشير باختصار إلى مسألة مهمة وسؤال يكثر وروده وهو (ما مقدار ما فسره النبي من القرآن) وفي المسألة قولان لأهل العلم :

القول الأول : أن النبي لم يفسر جميع آي القرآن، وذلك لأن من الآيات ما استأثر الله بعلمه ومنها ما لا يعذر أحد بجهله ومنها ما تعرفه العرب بمقتضى لغتهم . وإنما اقتصر تفسير النبي على نوعين من أنواع التفسير هما **بيان المجمل وإيضاح المشكل** .

وهذا القول قاله الأكثرون وهو الذي يتفق مع الأدلة والواقع، إذ لو فسر النبي جميع آي القرآن آية بآية لنقل إلينا، وأيضاً لم يكن لابن عباس مزية بدعوة النبي (صلى اله عليه وآله وسلم) بان يعلمه التأويل ، وغير ذلك من الأدلة .

فهناك من يعتقد ان النبي (عليه السلام) لم يفسر الا آيات من القرآن، ويستند في ذلك أصحاب هذا القول الى روايات تنفي أن يكون رسول الله قد فسر القرآن كله تفسيراً شاملاً، وعلى رأس هؤلاء **السيوطي** : فمن تلك الروايات ما اخرجه البزار عن عائشة قالت: (من ان رسول الله ما كان يفسر الا آياً بعدد)، واهم ما يعزز هذا القول هو طبيعة الاشياء، لأن ندرة ما صح عن الصحابة من التفسير المأثور عن النبي (عليه السلام) تدل على ان النبي لم يكن قد فسر للصحابة على وجه العموم آيات القرآن جميعاً تفسيراً شاملاً والا لكثررت روايات الصحابة بهذا الشأن، ولما وجدنا الكثرة الكاثرة منهم أو



كبار رجالاتهم يتحIRON في معنى آية، او كلمة من القرآن ويغيب عنهم حتى المدلول اللفظي للنص، والعبارة المباشرة التي يستهدفها كما سبق في الروايات والوقائع المتقدمة.

القول الثاني : أن النبي فسر جميع آي القرآن . جملة ومعانيه . مستلدين بقوله تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } وجه الدلالة أن الآية أوضحت أن من مهمة الرسول البيان ، والبيان يشمل البيان اللفظي (بتلاوة القرآن) والبيان التفسيري والإيضاحي لمعاني القرآن . ولأن الله أمر بتدبر القرآن ولا يمكن فهمه وتدبره إلا عن طريق النبي لذا كان يقوم بعملية تفسير شامل للقرآن كله، ولعل في طليعة ذلك قوله تعالى: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } {

ومن الواضح ان هذا الدور العظيم لا يمكن للقرآن الكريم ان يؤديه بصورة كاملة شاملة ما لم يفهم فهماً كاملاً شاملاً، ويصل المسلمون الى اهدافه ومعانيه، ويندمجون بمفاهيمه، ومصطلحاته، وأما اذا ترك القرآن بدون تفسير موجه توجيهاً رسالياً فسوف يفهم من قبل المسلمين ضمن اطاراتهم الفكرية، وعلى المستوى الثقافي والذهني الذي كان الناس يعيشونه، وقتئذ، وتتحكم في تفسيره كل الرواسب، والمسبقات الذهنية التي كانت لا تزال تتحكم في كثير من الازهان.

وهكذا نجد انفسنا امام تناقض بين قولين لكل منهما شواهد ومعززاته، ويحتاج هذا التناقض الى حل وقد لا نجد حلاً منطقياً اقرب الى القبول من القول : بأن النبي (عليه السلام) فسر القرآن الكريم على مستويين فقد كان يفسره على المستوى العام في حدود الحاجة، ومتطلبات الموقف الفعلي، ولهذا لم يستوعب القرآن كله. وكان يفسره على مستوى خاص تفسيراً شاملاً كاملاً بقصد ايجاد من يحمل تراث القرآن، ويندمج به اندماجاً مطلقاً بالدرجة التي تتيح له أن يكون مرجعاً بعد ذلك في فهم الامة للقرآن.

وأعود لما ابتدأته فأقول أهم ما نهج اليه النبي في تفسير القرآن .

١- تفسير القرآن بالقرآن فعندما نزل قوله تعالى : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } وأشكل ذلك على الصحابة فسرها النبي بقوله تعالى { يَا بَنِيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } .

٢- أن يذكر التفسير ثم يذكر الآية المفسرة . كقوله : إن في الجنة شجرة يسير الراكب تحتها مائة عام اقرأوا إن شئتم { وَظِلٌّ مَمْدُودٍ } وكقوله (إذا أحب الله عبدا نادى يا جبريل إني أحببت فلانا فأحبه قال فينادي ...فذلك قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } {



٣- أن يذكر الآية المفسرة ثم يذكر تفسيرها ومثاله أن النبي قرأ وهو على المنبر { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } فقال ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي.

٤- بيان القصص الواردة في القرآن كما في قصة موسى والخضر فلا يمكن فهم القصة بدون ما روي عن النبي في ذلك.

٥- التشويق والترغيب في التفسير فقد أخرج أحمد والبخاري والدارمي وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد بن المعلى قال (كنت أصلي فدعاني النبي فلم أجه فقال ألم يقل الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } ثم قال لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)

٦- التفسير بطريق السؤال كما في تفسيره (صلى الله على وآله وسلم) للغيبة حيث قال : (أتدرون ما الغيبة ..)

ففي صحيح مسلم أن رسول الله قال: (أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهتته) وكما في تفسيره لقوله تعالى { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا } فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي ذر (رضى الله عنه) قال: (كنت مع النبي في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)

٧- استخدامه في تفسيره الوسائل التعليمية والأمثلة كثيرة منها ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ }

وأخرج أحمد وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: (كنا جلوسا عند النبي فخط خطا هكذا أمامه فقال هذا سبيل الله وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذا سبيل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط وتلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية)

٨- استخدامه عليه الصلاة والسلام للتشبيهات البلاغية والتي تقرب معنى الآية لذهن القارئ .

ومن ذلك بيانه لـ (سدره المنتهى) فقد أخرج البخاري من حديث مالك بن صعصعة قصة المعراج وفيه (ثم رفعت لي سدره المنتهى فإذا نبقتها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدره المنتهى) .



٩- تفسير ما يشكل على الصحابة فهمه ومن ذلك عن عبد الله بن مسعود قال: (لما نزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه قال إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم لقمان الآية ١٣ إنما هو الشرك)

١٠- عدم الإطناب في تفسير الآيات والخروج إلى ما لا فائدة منه بل كان تفسيره مقتصرًا كما سبق بيانه على إيضاحه للمشكل وبيانه للمجمل.

التفسير في عصر الصحابة (رضي الله عنهم)

لا شك أن الصحابة، ممن { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } كانوا هم وأهل البيت مراجع الأمة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ كانوا حاملي لوائه ومصادر شريعته إلى الأمة، ليس يعدل عنهم إلى الأبد نعم كانوا على درجات من العلم والفضيلة حسبما أوتوا من فهم وذكاء وسائر المواهب والاستعداد قال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }.

قال مسروق: "جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوجدتهم كالإخاذا - يعني الغدير - فالإخاذا يروى الرجل، والإخاذا يروى الرجلين، والإخاذا يروى العشرة، والإخاذا يروى المائة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم".

قال مسروق: ((انتهى العلم إلى ثلاثة : عالم بالمدينة علي بن ابي طالب، وعالم بالعراق عبد الله ابن مسعود، وعالم بالشام ابي الدرداء، فإذا التقوا سئل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة وهو لم يسألهم))

كما كان طبيعياً أن يفهم أصحاب النبي (عليه السلام) القرآن في جملة، أي بالنسبة لظاهره وأحكامه، أما فهمه تفصيلاً، ومعرفة دقائق باطنه، بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، بل لا بد لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يشكل عليهم فهمه، وذلك لأن القرآن فيه المجمل، والمشكل، والمتشابه، وغير ذلك مما لا بد في معرفته من أمور أخرى يُرجع إليها.

ولا أظن الحق مع ابن خلدون حيث يقول في مقدمته: "إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"، نعم لا أظن الحق معه في



ذلك، لأن نزول القرآن بلغة العرب لا يقتضى أن العرب كلهم كانوا يفهمونه في مفرداته وتراكيبه، وأقرب دليل على هذا ما نشاهده اليوم من الكتب المؤلفة على اختلاف لغاتها، وعجز كثير من أبناء هذه اللغات عن فهم كثير مما جاء فيها بلغتهم، إذ الفهم لا يتوقف على معرفة اللغة وحدها، بل لا بد لمن يفتش عن المعاني ويبحث عنها من أن تكون له موهبة عقلية خاصة، تتناسب مع درجة الكتاب وقوة تأليفه.

تفاوت الصحابة في فهم القرآن

ولو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وُضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفى معناه على بعض الصحابة، ولا ضيّر في هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها.

ومما يشهد لهذا الذي ذهبنا إليه، ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن أنس: "أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: {وَفَاكِهَةٌ وَأَبٌ}.. فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟. ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر".

وما روى من أن عمر كان على المنبر فقراً: {أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ}.. ثم سأل عن معنى التخوف، فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص، ثم أنشده:

وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: "كنت لا أدري ما {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ} حتى أتاني أعرابي يخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها".

فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى "الأب" ومعنى "التخوف" ويسأل عنهما غيره، وابن عباس - وهو ترجمان القرآن - لا يظهر له معنى "فاطر" إلا بعد سماعها من غيره، فكيف شأن غيرهما من الصحابة؟

لا شك أن كثيراً منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالي للآية، فيكفيهم - مثلاً - أن يعلموا من قوله تعالى: {وَفَاكِهَةٌ وَأَبٌ} أنه تعداد للنعم التي أنعم الله بها عليهم، ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معنى الآية تفصيلاً ما دام المراد واضحاً جلياً.



وماذا يقول ابن خلدون فيما رواه البخاري، من أن عدى بن حاتم لم يفهم معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾.. وبلغ من أمره أن أخذ عقلاً أبيض وعقلاً أسود، فلما كان بعض الليل، نظر إيهما فلم يستبيناً، فلما أصبح أخبر الرسول بشأنه، فعرض بقلة فهمه، وأفهمه المراد.

الحق أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع - كما تقدم - إلى اختلافهم في أدوات الفهم، فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملماً بغريبها، ومنهم دون ذلك، ومنهم من كان يلزم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره، أضف إلى هذا وذلك أن الصحابة لم يكونوا في درتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً.

هذا.. وقد قال ابن قتيبة - وهو ممن تقدم على ابن خلدون بقرون - : "إن العرب لا تستوى في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل إن بعضها يفضل في ذلك على بعض".

مصادر التفسير في هذا العصر

كان الصحابة في هذا العصر يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على أربعة مصادر:

الأول: القرآن الكريم.

الثاني: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

الثالث: الاجتهاد وقوة الاستنباط.

الرابع: أهل الكتاب من هذه المصادر الأربعة فنقول:

*المصدر الأول - القرآن الكريم:

الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص. وما أوجز في مكان قد يُبسّط في مكان آخر، وما أُجمل في موضع قد يُبين في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى.



ولهذا كان لا بد لمن يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وبما جاء مبيئاً على فهم ما جاء مجملًا، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره.

ومن تفسير القرآن بالقرآن: أن يُحمل المجمل على المبيّن ليُفسر به، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن، فمن ذلك تفسير قوله تعالى في سورة غافر الآية [٢٨]: {وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ} بأنه العذاب الأدنى المُعجل في الدنيا، لقوله تعالى في آخر هذه السورة آية [٧٧]: {فَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام آية [١٠٣]: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} فسرتها آية: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} الآية [٢٣] من سورة القيامة. ومنه قوله تعالى في سورة المائدة آية [١]: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنلَى عَلَيْكُمْ}.. فسرتها آية {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ} الآية [٣] من السورة نفسها.

ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، ومن الأمثلة على ذلك عند بعض العلماء: آية الظهار مع آية القتل، ففي كفارة الظهار يقول الله تعالى في سورة المجادلة آية [٣]: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}.. وفي كفارة القتل، يقول في سورة النساء آية [٩٢]: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}.. فيحمل المطلق في الآية على المقيد في الآية الثانية، بمجرد ورود اللفظ المقيد من غير حاجة إلى جامع عند هذا البعض من العلماء.

- المصدر الثاني السنة

المصدر الثاني الذي كان يرجع إليه الصحابة في تفسيرهم لكتاب الله تعالى هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان الواحد منهم إذا أشكلت عليه آية من كتاب الله، رجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تفسيرها، فيبين له ما خفى عليه، لأن وظيفته البيان.

وكما نَبَّهَ على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

والذي يرجع إلى كتب السنة يجد أنها قد أفردت للتفسير باباً من الأبواب التي اشتملت عليها، ذكرت فيه كثيراً من التفسير المأثور عن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فمن ذلك:



ما أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما عن عدى بن حبان قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين هم النصارى".

وما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "الصلاة الوسطى صلاة العصر".

وما رواه أحمد والشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال: "لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}. شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله؛ وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم؟ إنما هو الشرك".

- المصدر الثالث الاجتهاد وقوة الاستنباط:

كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجعوا في ذلك إلى اجتهادهم وآمال رأيهم، وهذا بالنسبة لما يحتاج إلى نظر واجتهاد، أما ما يمكن فهمه بمجرد معرفة اللغة العربية فكانوا لا يحتاجون في فهمه إلى إعمال النظر، ضرورة أنهم من خُصِّ العرب، يعرفون كلام العرب ومناحيهم في القول، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك في الشعر الجاهلة الذى هو ديوان العرب،

*أدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة:

وكثير من الصحابة كان يُفسِّر آي القرآن بهذا الطريق، أعنى طريق الرأي والاجتهاد، مستعيناً على ذلك بما يأتي:

- أولاً: معرفة أوضاع اللغة وأسرارها.
- ثانياً: معرفة عادات العرب.
- ثالثاً: معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن.
- رابعاً: قوة الفهم وسعة الإدراك.

فمعرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها، تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب. ومعرفة عادات العرب تعين على فهم كثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم، فمثلاً قوله تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ}.. وقوله: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}. لا يمكن فهم المراد منه، إلا لمن عرف عادات العرب في الجاهلية وقت نزول القرآن.

ومعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن، تعين على فهم الآيات التي فيها الإشارة إلى أعمالهم والرد عليهم.



ومعرفة أسباب النزول، وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، تعين على فهم كثير من الآيات القرآنية، ولهذا قال الواحدى: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها". وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معانى القرآن" وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول بعين على فهم الآية. فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".

وأما قوة الفهم وسعة الإدراك، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده وكثير من القرآن يدق معناه، ويخفى المراد منه، ولا يظهر إلا لمن أوتى حظاً من الفهم ونور البصيرة، ولقد كان ابن عباس صاحب النصيب الأكبر والحظ الأوفر من ذلك، وهذا ببركة دعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له بذلك حيث قال: "اللَّهُمَّ فَهِّمْنَا فِي الدِّينِ وَعَلِّمْنَا التَّأْوِيلَ".

هذه هي أدوات الفهم والاستنباط التي استعان بها الصحابة على فهم كثير من آيات القرآن، وهذا هو مبلغ أثرها في الكشف عن غوامضه وأسراره.

- المصدر الرابع من مصادر التفسير في هذا العصر - أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

المصدر الرابع للتفسير في عهد الصحابة هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وذلك أن القرآن الكريم يتفق مع التوراة في بعض المسائل، وبالأخص في قصص الأنبياء، وما يتعلق بالأمم الغابرة، وكذلك يشتمل القرآن على مواضع وردت في الإنجيل كقصة ميلاد عيسى ابن مريم، ومعجزات التي جاء بها (عليه السلام).

غير أن القرآن الكريم اتخذ منهجاً يخالف منهج التوراة والإنجيل، فلم يتعرض لتفاصيل جزئيات المسائل، ولم يستوف القصة من جميع نواحيها، بل اقتصر من ذلك على موضع العبرة فقط.

ولما كانت العقول دائماً تميل إلى الاستيفاء والاستقصاء، جعل بعض الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - يرجعون في استيفاء هذه القصص التي لم يتعرض لها القرآن من جميع نواحيها إلى من دخل في دينهم من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وبين وهب وغيرهم من علماء اليهود والنصارى.

وهذا بالضرورة كان بالنسبة إلى ما ليس عندهم فيه شئ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنه لو ثبت شئ في ذلك عن رسول الله ما كانوا يعدلون عنه إلى غيره مهما كان المأخوذ عنه.

* أهمية هذا المصدر بالنسبة للمصادر السابقة:



غير أن رجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب، لم يكن له من الأهمية في التفسير ما للمصادر الثلاثة السابقة، وإنما كان مصدرًا ضيقًا محدودًا، وذلك أن التوراة والإنجيل وقع فيهما كثير من التحريف والتبديل، وكان طبيعياً أن يحافظ الصحابة على عقيدتهم، ويصونوا القرآن عن أن يخضع في فهم معانيه لشيء مما جاء ذكره في هذه الكتب التي لعبت فيها أيدي المحرّفين، فكانوا لا يأخذون عن أهل الكتاب إلا ما يتفق وعقيدتهم ولا يتعارض مع القرآن.

أما ما اتضح لهم كذبه مما يعارض القرآن ويتنافى مع العقيدة فكانوا يرفضونه ولا يصدّقونه، ووراء هذا وذاك ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وهذا النوع كانوا يسمعون من أهل الكتاب ويتوقفون فيه، فلا يحكمون عليه بصدق ولا بكذب، امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تُصدّقوا أهل الكتاب ولا تُكذّبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا..." الآية.

يمتاز التفسير في هذه المرحلة بالميزات الآتية:

أولاً: لم يُفسّر القرآن جميعه، وإنما فسّر بعض منه، وهو ما غمض فهمه وهذا الغموض كان يزداد كلما بُعد الناس عن عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان التفسير يتزايد تبعاً لتزايد هذا الغموض، إلى أن تم تفسير آيات القرآن جميعها.

ثانياً: قلة الاختلاف بينهم في فهم معانيه، وسنعرض لهذا الموضوع بتوسع فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: كانوا كثيراً ما يكتفون بالمعنى الإجمالي، ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معانيه تفصيلاً، فيكفي أن يفهموا من مثل قوله تعالى: {وَفَأَكِهَةٌ وَأَبَا} .. أنه تعداد لنعم الله تعالى على عباده.

رابعاً: الاختصار على توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه بأخصر لفظ، مثل قولهم: {غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ}.. أي غير متعرض لمعصية، فإن زادوا على ذلك فمما عرفوه من أسباب النزول.

خامساً: ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية وعموم وجود الانتصار للمذاهب الدينية بما جاء في كتاب الله، نظراً لاتحادهم في العقيدة، ولأن الاختلاف المذهبي لم يبق إلا بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم.

سادساً: لم يُدون شيء من التفسير في هذا العصر، لأن التدوين لم يكن إلا في القرآن الثاني. نعم أثبت بعض الصحابة بعض التفسير في مصاحفهم فظنوا بعض المتأخرين من وجوه القرآن التي نز بها من عند الله تعالى.



التفسير في عصر التابعين

تنتهي المرحلة الأولى للتفسير بانصرام عهد الصحابة، وتبدأ المرحلة الثانية للتفسير من عصر التابعين الذين تتلمذوا للصحابة فتلقوا غالب معلوماتهم عنه.

وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم في استجلاء بعض ما خفى من كتاب الله، اشتهر أيضاً بالتفسير أعلام من التابعين، تكلموا في التفسير، ووضّحوا لمعاصريهم خفى معانيه.

* * مصادر التفسير في هذا العصر:

وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى.

وقد روت لنا كتب التفسير كثيراً من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير، قالوها بطريق الرأي والاجتهاد، ولم يصل إلى علمهم شئ فيها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو عن أحد من الصحابة.

وقد قلنا فيما سبق: إن ما نُقِلَ عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسروا ما غمض فهمه على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض - على تدرج - كلما بَعُدَ الناس عن عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة، فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقص، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض، ثم جاء من بعدهم فأتَمُوا تفسير القرآن تبعاً، معتمدين على ما عرفوه من لغة العرب ومناحيهم في القول، وعلى ما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في عصر نزول القرآن... وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل البحث.

* *

(مدارس التفسير التي قامت فيه)

* مدارس التفسير في عصر التابعين:

فتح الله على المسلمين كثيراً من بلادهم العالم في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي عهود الخلفاء من بعده، ولم يستقروا جميعاً في بلد واحد من بلاد المسلمين، بل نأى الكثير منهم عن



المدينة مشرق النور الإسلامي ثم استقر بهم النوى، موزعين على جميع البلاد التي دخلها الإسلام، وكان منهم الولاة، ومنهم الوزراء، ومنهم القضاة، ومنهم المعلمون، ومنهم غير ذلك.

وقد حمل هؤلاء معهم إلى هذه البلاد التي رحلوا إليها، ما وعوه من العلم، وما حفظوه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلونه لمن بعدهم، فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية، أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون.

واشتهر بعض هذه المدارس بالتفسير، وتعلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق، وهذه المدارس الثلاث، هي أشهر مدارس التفسير في الأمصار في هذا العهد.

وأرى أن أتكلم عن كل مدرسة من هذه المدارس الثلاث، وعن أشهر المفسرين من التابعين الذين أخذوا التفسير عن أساتذة هذه المدارس من الصحابة :

أولاً: مدرسة التفسير بمكة

* قيامها على ابن عباس:

قامت مدرسة التفسير بمكة على عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما)، فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يُفسر لهم كتاب الله تعالى، ويوضح لهم ما أشكل من العناية، وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه.

* أشهر رجالها:

وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح.

وهؤلاء كلهم كانوا من الموالى، وهم يختلفون في الرواية عن ابن عباس قلة وكثرة، كما اختلف العلاء في مقدار الثقة بهم والركون إليهم.

ثانياً: مدرسة التفسير بالمدينة

* قيامها على أبي بن كعب:

كان بالمدينة كثير من الصحابة، أقاموا بها ولم يتحولوا عنها كما تحول كثير منهم إلى غيرها من بلاد المسلمين، فجلسوا لأتباعهم يعلمونهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقامت



بالمدينة مدرسة للتفسير، تتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة. ونستطيع أن نقول: إن قيام هذه المدرسة كان على أبي بن كعب، الذي يُعتبر بحق أشهر من تتلمذ له مفسرو التابعين بالمدينة، وذلك لشهرته أكثر من غيره في التفسير، وكثرة ما نُقل لنا عنه في ذلك.

* أشهر رجالها:

وقد وُجد بالمدينة في هذا الوقت كثير من التابعين المعروفين بالتفسير، اشتهر من بينهم ثلاثة، هم: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي. وهؤلاء منهم من أخذ عن أبي مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بالواسطة.

ثالثاً: مدرسة التفسير بالعراق

* قيامها على ابن مسعود:

قامت مدرسة التفسير بالعراق على عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه)، وكان هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق التفسير، غير أن عبد الله ابن مسعود كان يعتبر الأستاذ الأول لهذه المدرسة، نظراً لشهرته في التفسير وكثرة المروى عنه في ذلك، ولأن عمر (رضى الله عنه) لما وليّ عمار بن ياسر على الكوفة، سير معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، فكونه معلّم أهل الكوفة بأمر أمير المؤمنين عمر، جعل الكوفيين يجلسون إليه، يأخذون عنه أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة.

ويمتاز أهل العراق بأنهم أهل الرأي. وهذه ظاهرة نجدها بكثرة في مسائل الخلاف، ويقول العلماء: إن ابن مسعود هو الذي وضع الأساس لهذه الطريقة في الاستدلال، ثم توارثها عنه علماء العراق، ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الطريقة في مدرسة التفسير، فيكثر تفسير بالرأي والاجتهاد، لأن استنباط مسائل الخلاف الشرعية، نتيجة من نتائج إعمال الرأي في فهم نصوص القرآن والسنة.

* أشهر رجالها:

وقد عُرف بالتفسير من أهل العراق كثير من التابعين، اشتهر من بينهم علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهمداني، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي.

ومن ثم فقد امتازت الكوفة في امور جعلتها في قمة العظمة والاكبار ، على مدى الدهور:

اولاً : كانت مهجر علماء الصحابة الاخيار واعلام الامة الكبار، وبلغ اوجها عند مهاجرة الامام امير المؤمنين (عليه السلام) . اخرج ابن سعد عن ابراهيم ، قال : هبط الكوفة ثلاثمئة من اصحاب الشجرة ،



و سبعون من اهل بدر وبذلك قال ابن عمرو: ما من يوم الا ينزل في فراتكم هذا مثاقيل من بركة الجنة كناية عن مهاجرة اصحاب الرسول اليها فوجا فوجاء .

وثانياً : اصبحت معهد العلم في الاسلام في دور نضارته وازدهار معارفه ، فمن الكوفة صدرت العلوم والمعارف الاسلامية ، بشتى انحاءها الى البلاد ، وسارت به الركبان الى الامصار في عهد طويل اخرج ابن سعد ايضا عن عبيد الله بن موسى ، قال : اخبرنا عبد الجبار بن عباس عن ابيه ، قال : جالست عطا ، فجعلت اساله فقال لي : ممن انت ؟ فقلت : من اهل الكوفة فقال عطا: ما يأتينا العلم الا من عندكم .

وثالثاً : كانت ارضا خصبة لتربية ولاء آل الرسول (صلى الله عليه واله) في نفوس مؤمنة صادقة في ايمانها، مؤدية اجر رسالة نبيها، حافظة لكرامة رسول الله في ذريته الانجاب ، عارفة بانهم سفن النجاة ، واحد الثقليين ، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها فكانوا اصدق عند الناس على علي (عليه السلام) ، كانوا لا يغالون ولا ينتقصون.

مميزات التفسير في هذه المرحلة

يمتاز التفسير في هذه المرحلة بالمميزات الآتية:

أولاً: دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات والنصرانيات، وذلك كثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وكان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية، كأخبار بدء الخليفة، وأسرار الوجود، وبدء الكائنات. وكثير من القصص. وكانت النفوس ميّالة لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فتساهل التابعون فزجوا في التفسير بكثير من الإسرائيليات والنصرانيات بدون تحرر ونقد. وأكثر من روى عنه في ذلك من مسلمي أهل الكتاب: **عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.** ولا شك أن الرجوع إلى هذه الإسرائيليات في التفسير أمر مأخوذ على التابعين كما هو مأخوذ على من جاء بعدهم.

ثانياً: ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي والرواية، إلا أنه لم يكن تلقياً ورواية بالمعنى الشامل كما هو الشأن في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، بل كان تلقياً ورواية يغلب عليهما طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون - بوجه خاص - بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم، فالمكيون عن ابن عباس، والمدنيون عن أبيّ، والعراقيون عن ابن مسعود... وهكذا.



ثالثاً: ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي، فظهرت بعض تفسيرات تحمل في طياتها هذه المذاهب، فنجد مثلاً قتادة بن دعامة السدوسي يُنسب إلى الخوض في القضاء والقدر ويثبته بأنه قدرى، ولا شك أن هذا أثر على تفسيره، ولهذا كان يتحرج بعض الناس من الرواية عنه. ونجد الحسن البصرى قد فسّر القرآن على إثبات القدر، ويكفر من يُكذب به كما ذكرنا ذلك في ترجمته.

رابعاً: كثرة الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم، وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين.

دور أهل البيت (عليهم السلام) بالتفسير

كان الدور الذي قام به أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم، هو دور تربية وتعليم، وإرشاد إلى معالم التفسير، وأنه كيف ينبغي أن يفهم معاني كلامه تعالى، وكيف الوقوف على دقائق ورموز هذا الوحي الإلهي الخالد فقد كانت تفاسيرهم للقرآن، المأثورة عنهم (عليهم السلام) تفاسير نموذجية، كانوا قد عرضوها على الأمة وعلى العلماء، لكي يتعرفوا إلى أساليب التفسير، تلك الأساليب المعتمدة على أصول متينة وقواعد رصينة وإن في الجم الغفير من التفسير الوارد عنهم (عليهم السلام) ما ينبؤك عن حرصهم الشديد على تعليم هذه الأمة كيف يفسرون القرآن الكريم وإيقافهم على نكت وظرف من هذا الكلام البارع نعم كانوا (عليهم السلام) ورثة القرآن العظيم، وحملته إلى الناس، في أمانة صادقة وإداء وإيفاء كريم.

العتره الطاهرة ورثة الكتاب وحمله علم الرسول (صلى الله عليه وآله): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) وقال: (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا...). وهذا حديث متواتر بين الفريقين، قاله (صلى الله عليه وآله) خطاباً لجميع أئمة عبر العصور... فقد هداهم إلى معالم الحياة التي إن ساروا على هديها اهتدوا وبلغوا السعادة...، وإن حادوا عنها هبوا وحبوا لأنفسهم الشقاء. (مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى)

وكما كان موضع النبي من القرآن الكريم موضع بلاغ وبيان، فكذلك موضع أهل بيته الطاهرين موضع أداء وإيفاء، أنهم خلفاؤه في أداء رسالة الله عز وجل في الأرضين، والإيفاء ببيان شريعته في الخافقين.



قال الإمام الباقر (عليه السلام) لعمر بن عبيد: (فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل ، فإذا احتاجوا الى تفسيره ، فالاهتداء بنا والينا يا عمرو).

ومن ثم لما سأل عبدة السلماني وعلمة بن قيس والاسود بن يزيد النخعي، الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : من يسألون اذا أشكل عليهم شيء من القرآن ؟ قال : (سلوا عن ذلك آل محمد...)

روي ان أبا عبدالله (عليه السلام) قال: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديث رسول الله قول الله عز وجل) .

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يحفظ عليه ما نزل من الآيات اذا كان غائبا.. قال سليم بن قيس الهلالي جلست الى علي (عليه السلام) بالكوفة في المسجد والناس حوله ، فقال : (سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله ، فو الله ما نزلت آية من كتاب الله الا وقد أقرئتها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلمني تأويلها...) فقال ابن الكواء وهو عبد الله بن عمرو اليشكري ، عالم نسابه ، ومسانله مع أمير المؤمنين (عليه السلام) معروفة : فما كان ينزل عليه وأنت غائب ؟ قال : (بلى ، يحفظ علي ما غبت عنه ، فاذا قدمت عليه قال لي : يا علي أنزل الله بعدك كذا وكذا، فيقرئني ، وتأويله كذا وكذا فيعلمني ..) .

نعم ، لم يكن أحد أمس برسول الله (صلى الله عليه وآله) من علي (عليه السلام) في سبيل اكتساب المعالي ، كما لم يأل النبي (صلى الله عليه وآله) جهدا في تربية علي وتعليمه وتهذيبه ، حتى أصبح مستودع علمه ، وينبوع حكمته .. الامر الذي كان معروفا في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، ومشهودا للجميع .. ومن ثم قال (صلى الله عليه وآله) : (علي عيبة علمي) .

- وهذا العلم الذي علمه النبي (صلى الله عليه وآله) قد توارثه أولاده الطيبون الائمة من أهل بيته (عليهم السلام) .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (ان الله علم نبيه التنزيل والتأويل ، فعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا وعلمنا ، والله ..) .

وهكذا امتد العلم واستمر في ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) باقيا، لا ينقطع ..



أما النصوص التي تمثل مبدأ مرجعية أهل البيت عليهم السلام في الجوانب الفكرية للرسالة فهي كثيرة
نذكر عدة نصوص منها :

الأول : حديث الثقلين : وقد جاء بصيغ عديدة نذكر منها ما رواه الترمذي في صحيحه بسنده عن أبي سعيد والأعمش، عن حبيب بن ثابت، عن زيد بن ارقم قالا : قال رسول الله (صلى الله عليه واله) : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

الثاني : حديث الأمان : فقد روى الحاكم في مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه واله) : (النجوم أمان لأهل الأرض من الفرق ، وأل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس). قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ، كما ذكر ابن حجر في صواعقه وصحيحه.

الثالث : حديث السفينة : فقد روى الحاكم في المستدرك وغيره كثير، إن النبي (صلى الله عليه واله) كان يقول : (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق).

الرابع : حديث الحق : فقد روى الترمذي في صحيحه عن النبي (صلى الله عليه واله) أنه قال : (رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار) ، كما روي هذا الحديث بصيغ أخرى منها : (علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة).

الخامس : حديث القرآن : فقد روى الحاكم في المستدرك وغيره أن النبي قال : (علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض).

السادس : حديث الحكمة : فقد روى الترمذي في صحيحه وغيره أن رسول الله (صلى الله عليه واله) قال : (أنا دار الحكمة وعلي بابها) ، وقد شرح المنادي في هامش الفيض القدير كلمة (علي بابها) : أي علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو الباب الذي يدخل منه الى الحكمة.

السابع : حديث المدينة : فقد روى الحاكم في المستدرك وغيره عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه واله) : (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب).



الثامن : حديث الاختلاف ، فقد روى الحاكم في المستدرک وغيره ، أن النبي صلى الله عليه واله قال لعلي عليه السلام : (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي). قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

التاسع : حديث السؤال : فقد روى جماعة من المحدثين منهم المتقي في (كنز العمال) ، وابن سعد في طبقاته ، وابن جرير في تفسيره ، وابن حجر في (تهذيب التهذيب) ، وابن عبد البر في (الاستيعاب) وغيرهم بألفاظ مختلفة أن علي بن أبي طالب (واللفظ للمتقي في كنز العمال) ، قال : (سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون الي يوم القيامة إلا حدثتكم، سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل..).

وبالإضافة الى هذه الأحاديث وأمثالها الكثيرة ، نجد أن الصحابة في عصر الخلافة الأولى كانوا يرجعون الى علي (عليه السلام) في مختلف القضايا المهمة والمستعصية وخصوصاً في مجال تفسير القرآن والقضاء ومعرفة الشريعة ، حيث وردت النصوص الكثيرة والتي صححها أصحاب الحديث تؤكد هذا الموقف العملي من الصحابة وهذه الحقيقة الناصعة.

فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه في باب قول تعالى : ((ما ننسخ من آية أو ننسها)) بسنده عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، حديثاً قال : فيه : قال عمر : (وأقضاننا علي..). وقد كان يعترف بهذه الحقيقة حتى أعداء علي (عليه السلام)، أمثال الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي ، حيث يقول : (إننا لم ننقم على علي قضاءه ، قد علمنا أن علياً كان أقضاهم).

وهنا سوف نذكر بعض الامثلة لتفسير أهل البيت (عليهم السلام)

المثال الأول : وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . الى قوله . مَتَاعًا لَكُمْ﴾.

قال الامام ابو جعفر الباقر (عليه السلام) : الى علمه الذي يأخذه عن يأخذه

لا شك ان العلم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد فكما يجب على الانسان ان يعرف ان الطعام الصالح والغذاء النافع الكافل لسلامة الجسد وصحة البدن، هو الذي يأتيه من جانب الله، وانه تعالى هو الذي هيأه له ترفيها لمعيشته كذلك يجب عليه ان يعلم ان العلم النافع والغذاء الصالح لتنمية روحه وتزكية نفسه هو



الذي يأتيه من جانب الله، وعلى يد اوليائه المخلصين الذين هم ائمة الهدى ومصابيح الدجى، فلا يستطرق ابواب البعداء الاجانب عن مهابط وحي الله، ومجاري فيضه المستدام.

المثال الثاني : وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

فالآية حسب ظاهرها وردت بشأن قوم موسى واستضعاف فرعون لهم، فاراد الله ان يرفع بهم ويستذل فرعون وقومه.

لكن الآية في مفادها العام وعد بنصر المستضعفين في الارض و رفعهم على المستكبرين، في اي عصر و في اي دور سنة الله التي جرت في الخلق لكن على شرائط يجب توفرها كما توفرت حينذاك على عهد موسى وفرعون فان عادت الشرائط و تهيئت الظروف، فان السنة تجري كما جرت اول الامر. وبذلك جاء تأويل الآية بشأن مهدي هذه الامة، واستخلاص المستضعفين في الارض على يده من نير المستكبرين.